مجلة تدبر

البحث الثاني

مَنْهَجُ الدُّكتُور فَرِيد الأَنصَارِيّ فِي تَدَارُسِ القُرآن وَتَدَبُّرِ آيِهِ

أ. عَبْدُ الحَلِيمِ مُصْطَفَى بلغيتي

أستاذ مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي الإعدادي بالمغرب.

❁ حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية –جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء– المغرب بأطروحته: شرح جامع بهرام لعبد الله بن يعقوب السملالي (ت١٠٥٢هـ) –دراسة وتحقيق–.

❁ يحضر أطروحة الدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية –جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء– المغرب موسومة بعنوان: الحركة التفسيرية في عهد الدولة السعدية: الخصائص والمناهج والإتجاهات.

❁ البريد الإلكتروني: abelghiti84@gmail.com

مستخلص البحث

"منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبر آيه"

إنَّ تحقق وحصول التدبر لا يكون إلا بعد مدارسة آي القرآن الكريم وألفاظه، تفسيرًا وتأويلًا بما تُسَوِّغه الأدلة الصحيحة والقواعد الصريحة التي سار على أثرها الهداة المفسرون من رعيل هذه الأمة الخيرية، كما وصفها ربنا ﷻ.

ويهدف موضوع بحثي هذا الموسوم بـ: **"منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبر آيه"**، تجليةَ وتبصرةَ مشروع الدكتور فريد الأنصاري -رحمة الله عليه- في مدارسة القرآن الكريم وتدبره وإبصار حقائقه ورسائله، والإسهام في التأسيس لمشروع بناء وتركيب النظرية التدبرية للقرآن الكريم في أفق استنباط كليات ناظمةٍ لقواعد تدبر آي القرآن ومدارسته، وضابطةٍ لهذه العملية درءًا لأن يكون كلام الله -تعالى- مرتعًا للخلل والخطل، وقراءات جديدة مغرضة.

أما عن **المنهج العلمي العام** الذي أسعفني لإبراز ما وصلت إليه فكان في غالب شأن البحث **منهجًا وصفيًا** قدمت به المادة العلمية كما هي في الواقع، عارضًا إياها عرضًا مرتبًا منهجيًا، وسالكًا بها -كلما اقتضت اللازمة البحثية- **سَبيل التحليل**.

وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى نتائج كان من أهمها: أن ربط الأمة بالقرآن الكريم ينطلق من التأسيس لمجالس القرآن على وِفق النهج الذي أسس له الدكتور فريد الأنصاري، مجالسٌ لا تقف عند مقصد محاولات التفسير والبيان، بل تتعداه إلى التدبر والتفكر والإستبصار.

وحاصل ما يكن **توصية البَحَثة** به دعوتهم فُرادى ومؤسسات إلى الحسم في أصول التفسير وقواعده ومناهجه، ثم التفكير بجد في التأسيس لمشروع أصول التدبر والتفكر.

الكلمات المفتاحية : (مجالس القرآن، فريد الأنصاري، منهج التدارس، التفكر، اِستبصار الآي، الهدى المنهاجي).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب الحكيم تنزيلًا، خالق الإنسان في أحسن المنازل تقويمًا وتجميلًا، المتفضل ببعثة رسوله الكريم الصدِّيق حيثما كان حالًّا أو نزيلًا.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة التي عمَّت العالميْن، فأرشد الناس بها إلى المنهج القويم، والمهيع الرشيد المفضي إلى بُلَهنية وسعادة الداريْن، فكان بفضل الله وقدره المبلغ للوحي المرشد والمبين عنه، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وبعد:

فإن من سلامة العاقبة وصفاء المآل؛ وجود نور وسراج يضيء للساري ظلمة المهايع، ويجلي للقاصد سبل النجاة، وإنَّ أعظم مآل يأرز إليه المسلم في دنياه؛ تحقيقه مقامات الرضى الرباني عليه، وحلول القبول الإلهي له، وإن أصدق وآكد نور موصل لذلك هو القرآن الكريم.

ولما كان الأمر كذلك؛ كان ارتباط أمة القرآن به ارتباطَ الطالب للنور المنجي من هلك الهوالك، وظلمة الحوالك، وأيقَنتْ يقينا لا يقاربه شك بمقصد قول الباري -جلَّت عزته-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وكان لزامًا على هذه الأمة -لما رامت تحصيل الهدى القرآني ثم الاستقامة والبشارة- تعاهد القرآن بالقراءة والذكر والتلاوة ثم التدبر؛ كل

ذلك على المنهج النبوي الذي عُلِّمه رسوله الله ﷺ؛ إذ هو المبين للوحي، ولا غرو أن يكون البيان مضمونًا ونهجًا.

وحصول التدبر لا يكون إلا بعد مدارسة آي القرآن الكريم وألفاظه تفسيرًا وتأويلًا بما تسوِّغه الأدلة الصحيحة، والقواعد الصريحة التي سار على أثرها الهداة المفسرون من رعيل هذه الأمة الخيرية كما وصفها ربنا ﷻ؛ ولذلك انطلق فئام من هذه الأمة وجعلوا غاية مقصدهم تثوير[1] القرآن الكريم والإفادة منه؛ طلبًا للصلاح والإصلاح.

وقد أَلِفَ الناس المهتمون بالقرآن وعلومه -كلما سمعوا- علم التفسير، ذِكر أهله من المشرق، غافلين أو متغافلين أهله من الغرب الإسلامي عامة وأهل المغرب خاصة، ولهؤلاء جهودهم الفاضلة في خدمة القرآن الكريم قديمًا وحديثًا، بل قد يكون لأهل المغرب فضلًا على المشارقة في التفسير منهجًا واستمدادًا.

يقول الدكتور مولاي مصطفى الهند: «ولهذا فإن كان من فضل هنا في الإبداع في مجال علم التفسير، فإنه لإمام المغرب يحيى بن سلام أولًا، ثم للإمام الطبري ثانيًا، ثم لمن جاء بعدهم ثالثًا»[2]، ولئن أشار الدكتور الهند إلى أن لأهل المغرب في التفسير فضلًا على المشارقة، فإن القول بالأفضلية يحتاج منا إلى عميق بحث وتمام استقراء. ومع ذلك فلا يمكن البتة نفي

(١) هذا المصدر مأخوذ من خبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إذ يقول: «مَنْ أَرَادَ عِلْمًا فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ خَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَخَيْرُ الْآخَرِينَ»، ينظر المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ٩/ ١٣٥. والتثوير من مادة: [ث و ر]، وتثوير القرآن: قِراءته ومُفاتشة العُلَماء بِهِ فِي تَفْسيره ومَعَانيه. ينظر تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب، ١٥/ ٨٠.

(٢) مقدمة في مناهج البحث في العلوم الإسلامية، لمولاي المصطفى الهند، ص: ٢٥٠.

إسهامات المغاربة في تفسير آي كتاب الله ﷻ، وإبداعاتهم النيرة في التأسيس لمنهج مدارسة القرآن الكريم.

وهذا الذي يؤكده الدكتور الهند بقوله: «والذي أرغب في تأكيده والتنبيه عليه أن ما قام به سلف الأمة المغربية، يعتبر تأسيسًا علميًا لمدرسة متميزة في المدارسة العلمية الرصينة للنص القرآني، ونحن بحاجة ماسة اليوم إلى تعميق البحث من طرف المتخصصين المدققين لكشف خبايا الزوايا في هذه المدرسة العلمية المتفردة منهجًا ومعرفة[1]».

ولهذا التميز في مدرسة التفسير عند أسلاف المغاربة، امتدادًا إلى متأخريهم وأهل عصرنا ممن راموا تفسير كلام الله ﷻ ومدارسته، وقد يكون للمتأخر سَبقًا لما لم يصل إليه المتقدم، وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوَ مُقَدَّمِ.

والناظر إلى خريطة التفسير وأهله المغاربة في العصر الحديث؛ لا جرم أنه واقع على محاولات في مدارسة القرآن الكريم في بعض سوره وآيه من لدن الدكتور فريد الأنصاري -رحمة الله عليه-، وسأحاول من خلال هذا البحث التبصرة بمنهج الدكتور في تفسير القرآن الكريم، أو لنسميه منهجه في مدارسة القرآن الكريم وتدبره وإبصار حقائقه ورسائله، كما عبر عن ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال كتابيه:

الأول: بعنوان: **"بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق"**، **والثاني:** الموسوم بعنوان: **"مجالس القرآن"**، وفيهما عبر عن النسق الذي يمكن ضمنه تدارس كلام الله تعالى؛ ليصل الدارس وِفْقه إلى المقصد المرجو ابتداءً من المدارسة، وهو وضع المتلقي عن القرآن «على صراط السير إلى

(١) المرجع السابق، ص: ٢٥١.

التخلق بأخلاق القرآن...، وحصول التذكر الذي هو يقظة القلب وعمران الوجدان بالإيمان[1]».

هذا العمران الوجداني هو المهيع البين إلى الإنتقال من القرآن إلى العمران بمعناه الشامل لجميع مناحي الحياة، وتلك هي الغاية من تدارس كتاب ربنا والتأسيس لمشروع مجالس للقرآن على المنوال الذي أراد له الدكتور فريد الأنصاري.

والذي شدني إلى تناول منهجه في التدبر والتفسير بالبحث وصفًا وتحليلًا، أمور عدة أجملها فيما يلي:

- الفخر العميق في إبراز جهود علماء المغرب لخدمة القرآن الكريم وما يتصل به من علوم.
- سيرة الدكتور فريد الأنصاري - رحمة الله عليه - الحافلة بالعطاء العلمي والإبداع المنهجي.
- جمالية أسلوب الدكتور والذي يجمع بين التأصيل العلمي، واللغة العذبة السلسة، والمنهج الدعوي الإصلاحي التربوي.
- خدمته للمنهج القائم على الإنتقال من التلاوة إلى التدارس، ثم إلى البلاغ، ثم إلى التدبر والإستبصار لمعاني القرآن ورسائله مع العامة والخاصة.
- الإسهام في التأسيس لمشروع بناء وتركيب النظرية التدبرية للقرآن الكريم، في أفق استنباط كليات ناظمةٍ لقواعد تدبر آي القرآن ومدارسته وضابطةٍ لهذه العملية؛ درءًا لأن يكون كلام الله -تعالى- مرتعًا للخلل والخطل، وقراءات جديدة مغرضة.

(١) مجالس القرآن، مدارسات في رسائل الهدى المنهاجي للقرآن الكريم، من التلقي إلى البلاغ، للدكتور فريد الأنصاري، ص: ٧٢ و ٧٣، [بتصرف].

وقد نظمت بحثي هذا، -والذي جعلت سيماءه بعنوان: «**منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبر آيه**»- وفق الخطة الآتية:

❁ **مقدمة:** تضمنت تيمَةَ البحث، وأهميته، وأسباب اختيار العَلَم، والمنهج المتبع في الدراسة.

❁ **المبحث الأول:** منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبره.

المطلب الأول: السِّمة العامة لمنهج الدكتور فريد في تدارس القرآن الكريم وتدبره.

المطلب الثاني: ضوابط الدكتور فريد في إنجاح منهج التدارس على وفق مجالس القرآن.

المطلب الثالث: الخطوات المنهجية لتدارس القرآن الكريم وتدبر آيه.

المطلب الرابع: السور المنتقاة للتدارس والاستبصار والاستمدادات المعرفية والمنهجية.

❁ **المبحث الثاني:** منهجية الدكتور فريد الأنصاري في عرضه للسورة القرآنية.

المطلب الأول: منهجيته في عرض السورة تلاوة وتدارسًا وتدبرًا.

المطلب الثاني: التطبيق العملي لمنهج ومنهجية الدكتور في التدارس من خلال سورة الحجرات.

❁ **خاتمة:** نتائج وحصيلات الدراسة.

❁ **ملحق:** ضم ترجمة للدكتور فريد الأنصاري.

أما عن المنهج العلمي العام الذي أسعفني لإبراز ما وصلت إليه؛ فكان

في غالب شأن البحث منهجًا وصفيًا قدمت به المادة العلمية كما هي في الواقع عارضًا إياها عرضًا مرتبًا منهجيًا، وسالكًا بها -كلما اقتضت اللازمة البحثية- مهيع التحليل.

وحاولت من خلال بحثي هذا توثيق النصوص، بعزو الآيات إلى سورها في متن البحث، وخرَّجت الأحاديث التي استدعيتها، أو التي استدعاها الدكتور لأجل الاستدلال، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، وإن كان في غيرهما ذكرت رقم الحديث ودرجته وقول أهل العلم من الحديث فيه. كما قمت بشرح الغريب الوارد في نص البحث مما يستأهل أن يشرح ويعرف به.

وأخيرًا، لا مندوحة من الإشارة إلى مسألة أحسبها من صعوبات البحث، والتي تتجلَّى في عدم توفري على أي دراسة سابقة لمنهج الدكتور في تدبر القرآن وتفسيره، إلا ما تناثر في بعض مواقع الشبكة العنكبوتية، والتي لا تعدو أن تكون مجرد إشارات إلى إسهاماته في خدمة القرآن، وأغلبها من محبي الدكتور والساهرين على بعض مواقع تراثه وإبداعاته العلمية.

هذا، وإني لا أزعم أني جئت في هذا البحث، بإبداع متحرر على التمام من ربقة الاتباع والتقليد حينًا، وإنما الإنشاء على غير مثال في حق غير الباري ضرب من ضروب المحال، بل وإني لفي هلع وضيق خاطر، أن يكون ما وصلت إليه، من قبيل التجاسر على الدكتور وأهل العلم عمومًا، سائلًا المولى التوفيق والسداد ومغفرة الزلل والعناد.

المبحث الأول

منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبره

۞ المطلب الأول: السِّمة العامة لمنهج الدكتور فريد في تدارس القرآن الكريم وتدبره:

إن المطالع لبعض كتب الدكتور فريد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وخصوصا كتابي: **"بلاغ الرسالة القرآنية ومجالس القرآن"**، قد يظن بادي الرأي بأنه فتح باب تدارس القرآن وبلاغه لكل من هب ودب من الخاصة والعامة لأجل تحقيق الهدى المنهاجي، والذي عبر عنه في غير ما موضع من كتابيه، ويظهر ذلك مثلا من خلال قوله: «أبصر لنفسك، فإن الإبصار لا نيابة فيه لأحد على أحد»[(١)]. أو من خلال دعوته إلى تأميم الدعوة إلى الله، وقوله أيضا: «فدع عنك هذه الوريقات وأمثالها جانبًا، فما كان ليكون بين الله وعبده من وسيط»[(٢)].

والمتأمل في هذا الكلام واضعًا إياه في سياقه، ومعتبرًا سِباقه ولحاقه، يهدأ روعه، ويعلم أن الدكتور، ما كان ليجرؤ على استرخاص كتاب الله وجعله عُرضة لكل فقيه ومتفيقه؛ إنما حاول التأسيس لنسق منضبط لتدارس القرآن الكريم، يُؤَطِّر ضمنه العالم والمتعلم والأمي على حد سواء، ليصلوا -كلهم- إلى تدبر رسائل القرآن؛ ولأنهم مطالبون في النهاية بإقامة الدين في النفس والمجتمع.

أما دعوته إلى ترك ما كتبه حول منهج مدارسة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو ما عبر عنه بالمدخل إلى مجالس القرآن، أو ما شابهه من كتب أصول التفسير، فإنها

(١) بلاغ الرسالة القرآنية، من أجل إبصار لآيات الطريق، للدكتور فريد الأنصاري، ص: ٥٥.
(٢) مجالس القرآن، ص: ١١.

دعـوة متأخرة عـن النظر فيهـا والإطلاع عليها والإفـادة منها أصالـة؛ إن كان لدارس القرآن الأهلية لذلك، أو بالتبع بواسـطة من له الكفاءة والكفاية، ولأن التقيـد بها أو بمثيلاتها عند كل محاولة تدبر وتفكر، قد تكون حاجبة للعبد عن اسـتبصار معـاني كلام الله -جل وعز- المخاطب للذات الإنسـانية من حيث إن هذا القرآن كلام ميسـر يخاطب به الكل، يقول ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وَلْنَنْظر قوله رحمه الله حول ورقاته في منهج تدارس القرآن ومثيلاتها، يقول: «مـن أجل هـذا وذاك إذن كتبت هـذه الورقات، وغايتها بيان منهج الإشـتغال بكتـاب الله، وكيفية إعـادة بناء الأنفس علـى وزانه، ووفـق مقاييس تصميمه، فـلا تتخذها مُشـغلة لك عن القـرآن الكريـم ولا حاجبة لك عـن مكنون دره الكريـم»[1]، فهاهنا ينبه إلى عدم الإنشـغال عن القرآن بدراسـات وكتابات قد تبعد عن التعامل معه رأسًا، بَيْدَ أنه يؤسس لذلك بمنهج حصين حينما يواصل قائلًا: «بل خذها -يعني الوريقات- آلة اسـتبصار -فحسب- كسائر آلات فقه الدين، مُسـتقاة من كتاب الله رأسًا فإنما هي آيات تربطك بآيات، على نوع من التدريج إلى خوض بحر القرآن[2]».

ولذلك يقول رحمه الله: «حينها إذا وصلت أخي الحبيب إلى الغاية، وحصل لك الإبصار بالآيات مباشـرة، وبدأت تكتسـب حقائق الإيمان مشاهدة، فدع عنك هذه الوريقات وأمثالها جانبًا»[3].

(١) المرجع السابق، ص: ١١.
(٢) نفسه، ص: ١١.
(٣) نفسه، ص: ١١.

فلا يكون الإبصار إلا إذا سُبق باكتساب ملكة التدارس من خلال آلات وضوابط أساس، تشكل بحق مقدمات التعامل مع النص القرآني، وما يعزز هذا الكلام، هو دعوته إلى الاجتهاد المؤسساتي أو الفردي، الرسمي أو غير الرسمي، في وضع نظريات منهجية تؤسس لنا علم أصول التفسير بقواعد متينة، أشبه ما تكون بقواعد أصول الفقه، وأصول الحديث، «فلو ضبط تفسير كتاب الله تعالى بنظريات منهجية، تتسم بالدقة والعمق، بحيث تشكل مادة مركبة من ضوابط وقواعد جزئية تترابط فيا بينها، لتشكل في النهاية كليات جامعة مانعة، تكون هي المسطرة العلمية المشروعة لتفسير القرآن الكريم، قلت لو كان ذلك كذلك، لما كان التفسير مرتعًا لكل من هب ودب»[1].

فحريٌ -إذن- لمن اطلع على هذا النص، أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن فريد الأنصاري، لايسمح ولا يقول بالتجرؤ على كلام الله ﷻ من غير منهج أو علم حصين، هذا العلم هو الذي: «يضمن لنا بذلك السلامة لكتاب الله من تحريف الكلم عن مواضعه تفسيرًا وتأويلًا»[2]، وقد أشار الدكتور رحمه الله إلى أنه قد بدأت محاولات الخوض فيه من لدن البحثة المغاربة وغيرهم، من أمثال الدكتور مولاي عمر بن حماد في أطروحته الموسومة بعنوان: **"علم أصول التفسير"**، محاولة في البناء[3].

كل تلكم العبارات والنصوص لتقودنا إلى أن فريدًا أسس لنفسه منهجًا عامًا يصير على منواله في مدارسة القرآن، والنهل منه تلاوة وتدبرًا وتفكرًا واستبصارًا، وإلا لكان حديثه عن المنهج، والمنهاج القرآني، والمدخل، وبناء

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، للدكتور فريد الأنصاري، ص: ١٥٧.
(٢) المرجع نفسه، ص: ١٥٧.
(٣) ينظر المرجع نفسه، ص: ١٥٨.

نظريات علم الأصول، وغيرها من العبارات التي ملأت بعض كتبه مجرد ترف فكري لا تُرجى منه فائدة.

المطلب الثاني: ضوابط إنجاح منهج مدارسة القرآن الكريم وتدبره على وفق مجالس القرآن:

إن إنجاح عملية تدارس كلام الله وتدبره واستبصار معاني آيه، وتنزيلها على النفس البشرية وعلى المجتمع لا تستقيم -بحسب الدكتور- إلا باستحضار ضوابط منهجية أهمها:

١- التعامل مع القرآن بالمنهج الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من أمر القرآن.[١]

إن وظيفة النبي ﷺ بعد تلقي الوحي بلاغه وبيانه، ولا جرم أن هذا البلاغ لا يستقيم إلا إذا كان متساوقًا مع منهج يجعل من عملية الإستقبال ناجحة؛ من حيث إنها قادرة على إيصال المتلقي إلى مقاصد التزكية والتعليم، بل ويضمن لها الإمتداد في كل الأزمنة والأمكنة، وإذا كان الصحب الكرام قد شهدوا حقيقة مجالس القرآن النبوية فإنهم -ولا ريب- قد أفادوا من رسول الله ﷺ اللفظ والمعنى والمقصد؛ بل واستلهموا منه منهج الأداء لا من حيث القراءة أو المعنى فقط؛ ولكن من حيث إنه منهاج صالح لأن تُعلم به الأجيال اللاحقة، والصحابة حملة الوحي بعد رسول ﷺ.

ولذلك كانت دعوة الدكتور إلى العودة المحمودة إلى المدرسة القرآنية على عهد النبي ﷺ وصحبه، يقول الدكتور: «فيا أيها الأحباب، لنعد إلى مدرسة رسول ﷺ، لنعد إلى مدرسة القرآن ومجالس القرآن على منهج القرآن صافية نقية كما شهد عليها الله ﷻ في جيل القرآن»[٢].

(١) ينظر مجالس القرآن، ص: ٩ - ١٠ - ١١.

(٢) مجالس القرآن، ص: ١١.

هـذه العودة هي الضمان السـليم والمنطلق الرشـيد نحو رشـد منهجي في تـدارس القـرآن وتدبـر آياتـه. والمتملـي في سـيرة المصطفـى ﷺ لا جرم سـيُلفي من الشـواهد الواقعية ما يدل على آكدية التأسـي بمجالس القرآن من حيث هي المنبـع الصافي لتزكية النفوس المؤمنة بالقـرآن لفظًا ومعنى وعبرة، ومنهجًـا للتلقـي والأداء، من ذلك ما أخرجه البخاري مـن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسـه القرآن، فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

وهـذا حديث يؤرِّخ ويوثِّـق لأُوليات مجالس القرآن تعليمًا ومدارسـة، وما تؤول إليه من الخيرات تحصيلًا وإكرامًا، هذه المجالس نفسـها تواصلت خيراتها لتعم لقاءات النبي ﷺ مع صحابته رضي الله عنهم، بل وكان من الضرورة الدعوة إلى استمرارها المتجدد في كل زمان ومكان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السـكينة وغشـيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسبُه**»[2].

ولذلك لـزِم المقبلين على تدارس القرآن وتدبره سـلوك مَهْيَع مجالس القـرآن على عهد النبي ﷺ وصحبه الكـرام رضي الله عنهم اقتفاءً -أولًا- للأثر، ورغبةً

(١) الجامع الصحيح المختصر المسـند من حديث رسول الله ﷺ وسـننه وأيامه، (صحيح البخاري)، لمحمـد بن إسـماعيل أبو عبـدالله البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديـب البغا، (كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ)، (رقم/ ٣٣٦١).

(٢) المسـند الصحيـح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسـول الله ﷺ، لأبي الحسـين مسـلم بن الحجاج بن مسـلم القشـيري النيسـابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقـي، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاسـتغفار، باب: فضل الاجتماع على تـلاوة القرآن وعلى الذكر)، (رقم: ٣٨/ ٢٦٩٩).

في إدراك ما أدركوه من الخيرات -ثانيًا-، ودرءًا للوقوع في الخطل أو الغلط المنهجي -ثالثًا-.

٢- اِعتبار القرآن هو المورد الرئيس لمشروع مجالس القرآن ومدارسته، منه يتلقى نوره ومُداه، وعليه يبني قواعده ورُؤاه.(١)

إذا كانت مجالس القرآن تقصد أصالةً تزكية نفوس المؤمنين بالقرآن، فلا مندوحة لهم عن الانطلاق رأسًا من آياته، واعتبارها المورد والمنهل الأساس لعملية التدارس والتدبر؛ ذلك أن سلامة المنطلقات سبيل نحو سلامة المخرجات، «عسى يكون أن ينال الجلساء المتدارسون من بركات هذا القرآن خُلُقًا ربانيًا، يجعلنا وإياهم -بتوفيق الله- على هدى من ربنا في أمر ديننا ودعوتنا»(٢).

٣- اِحترام قواعد تدارس القرآن من التلاوة بمنهج التلقي، والتعلم والتعليم بمنهج التدارس، والتزكية بمنهج التدبر(٣)، وسيأتي بيان ذلك وتفصيله من خلال المطلب الذي يلي.

٤- تذوق الآيات وتدبرها وتحريك القلوب والمشاعر، ولا يكون ذلك إلا بعد تلاوتها وتفسيرها، ثم مدارستها، ثم ما ترجع به من زاد إيماني بعد تدبرها(٤).

٥- البعد عن الإيلاغ في التفاسير والمبالغة في ذلك، يقول الدكتور فريد: «وها هنا لابد من التنبيه على قاعدة منهجية مهمة جدًّا لهذا الأمر -يقصد مدارسة القرآن- من خلال المجالس، وهي الحذر من استغراق الوقت كله

(١) ينظر مجالس القرآن، ص: ١٢.
(٢) المرجع نفسه، ص: ١٢.
(٣) تكرار الدكتور لكلمة المنهج خير دليل على أنه لم يفتح الباب مشرعًا للكل لتدارس القرآن الكريم.
(٤) ينظر المرجع السابق، ص: ٨١.

في التفسير، وتتبع أقوال المفسرين من دقائق اللغات والبلاغة والإعراب وتفاصيل الخلافات الكلامية وتفاريع الأحكام الفقهية، فكل ذلك وما في معناه إنما يحتاجه أهل الإختصاص، وأما الغرض مما نحن فيه إنما هو تحصيل الحكم من الآية، وإتاحة الفرصة للتدبر والتفكر للوصول إلى الهدى المنهاجي»[1].

وحتى لا يفهم من كلامه الآنف صده عن التفاسير وجهود أصحابها واستمداداتهم، فإنه يوضح رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة دعوته تلك بقوله: «ولهذا فإنه يكفي في ذلك كله تحصيل المعنى العام للآية، وما أجمع عليه المفسرون منها، أو ما عليه جمهورهم، فلا يُؤخذ من المعاني اللغوية وكذا الفقهية إلا ما لابد منه لفهم المعنى الكلي للآية، فلا ينبغي أن ننسى أن غاية مجالس القرآن إنما حصول التربية والتزكية أي تحصيل الربانية لا تحصيل العالمية[2]».

ولعل فيما أشرت إليه سابقًا فيه من القطع بما يكفي؛ ليدل على أن الدكتور فريد الأنصاري يرسم حدود عملية مدارسة القرآن والتى لايجوز تجاوزها وتعديها، أما من رام تحقيق العالمية فإن له أن ينهل ويغرف من مصادر التفسير ما يحقق له الإكتفاء العلمي الذي ينشده ويرجوه.

❁ المطلب الثالث: الخطوات المنهجية لتدارس القرآن:

يحدد الدكتور رَحِمَهُ اللَّهُ الخطوات المنهجية لتدارس القرآن الكريم وفق ما تقتضيه مجالس القرآن، التي تَغَيَّا منها ربط المسلم بمشروع الإستظلال تحت رحمات آي القرآن وفهمه كما فهمه السلف من غير تكلف، أو تنطع،

(١) المرجع نفسه، ص: ٨٢.
(٢) المرجع السابق، ص: ٨٣.

أو كثير تركيب للكلام، الذي قد يُوهِنُ هذا الإرتفاق بالقرآن الكريم في سلاسته وعذوبة لفظه.

وقد عبر عن هذا المقصد الجميل بقوله: «فمجالس القرآن: مشروع دعوي تربوي بسيط، سهل التنفيذ والتطبيق، سلس الإنتشار؛ غايته تجديد الدين[1]، وإعادة بناء مفاهيمه في النفس وفي المجتمع.. بعيدًا عن جدل (المتكلمين الجدد)، وبعيدًا عن تعقيدات التنظيمات والهيئات.. بعيدًا عن الإنتماءات السياسية الضيقة، والتصنيفات الحزبية المُربكة؛ لكن قريبًا من فضاء القرآن الكريم، بل في بحر جماله النوراني العظيم، وتحت شلال روحه الرباني الكريم»[2]، فجاءت تلك الخطوات كما اختارها في ثلاثةٍ أصَّلَها القرآن الكريم؛ إذ عبرت عنها الآيات الحكيمة في غير ما موضع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(١) لا يفهم من كلام الدكتور إلى أنه يدعو إلى خطاب تجديد الدين وفق فلسفة تتبنى مُكنتها من الدراسات الغربية، والتي تروم نقض الدين من أصله، ولكنه ينطلق من التجديد بمفهومه النبوي والذي ورد في سنن أبي داود (كتاب الملاحم، باب: ما يُذكَرُ في قَرْنِ المِئَة، رقم/ ٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، والحاكم في «المستدرك» (كتاب الفتن والملاحم، باب: أما حديث أبي عوانة، رقم/ ٨٥٩٢)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (أول الكتاب، رقم/ ٥٩٩)، وقال عنه سنده صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم. وقد أبان الدكتور الأنصاري عن مراده بالتجديد، والذي يرتبط بفعل البعث المعبر عنه في الحديث، فلا تجديد إلا ببعث من الله تعالى، ولا بعث إلا بمفاهيم القرآن وصحيح السنة؛ وإلا كان التجديد عبثًا لا بعثًا، يُنظر المجالس، ص: ٥٨.

(٢) المجالس، ص: ٥٠ - ٥١.

وقوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

والظاهر من خلال هذه الآيات المباركات أنها أشارت كلها إلى منهج التعامل مع القرآن الكريم تلقيًا وأداءً، بدءًا بمنهج التلاوة ثم التعليم ثم التزكية، مع تقديم وتأخير بين كلمتي التعليم والتزكية، مما يحيل على تساؤل مفاهيمي يؤسس لنظرية تربوية تجيب عن ماهية التزكية وماهية التعليم، وأي هذين المفهومين أسبق من حيث الزمنُ في الفعل التربوي، فهل يشرع المربي أو الداعية في التعليم ومنه يُدلف إلى التزكية؛ أم يبدأ بالتزكية ليجد التعليم المهايع والقنوات ممهدة ميسرة، تكون نتائجها وحصيلاتها آكدية النفع.

وهذه الخطوات الثلاث لا يمكن -بحسب الدكتور- تجزيئها أو التعامل مع واحدة منها دون ربطها بأخرييها من الخطوات في صعيد منهجي واحد متراكب مفض إلى المقصود والمنشود من التمسك بالكتاب، والأخذ به بقوة، يقول الدكتور: «التلاوة والتعليم والتزكية: هي الأصول الكلية لمهمة الرسالة، وهي المراحل الأساسية لبناء النفس المؤمنة، وتكوين النسيج الإجتماعي الإسلامي؛ إلا أنها مراحل متداخلة في عملية الإشتغال بالقرآن الكريم لهذا الغرض؛ إذ يصعب القول بأنها منقطعة مبتوتة المفاصل، بل هي متواصلة، يكملُ آخرُها أولَها، ويرفد أولُها آخرَها؛ إذ تجد بدايات اللاحقة منها منذ الشروع في السابقة، وتجد آثار السابقة مستمرة في اللاحقة، وإنما تتميز عن بعضها بالغلبة ليس إلا»[1]. وها هي أُورِدُها تِباعا كما رتبها الدكتور على النحو الآتي:

(١) المرجع السابق، ص: ٦٢ و ٦٣.

١ - التلاوة بمنهج التلقي:

لا مندوحة لطالب فهم القرآن وتدبر آيه الكريمة من أن ينطلق رأسًا من هذا الكتاب، ولا يكون ذلك إلا بتحريك الشفاه به تلاوة وقراءة، والأمر بتلاوة القرآن وعدم هجرانه ندبت إليه آيات الكتاب -نفسها- وأحاديث رسول الله ﷺ.

من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

ومنها قوله ﷻ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله ﷻ أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

وفي الصحيح من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»(١).

وهذه التلاوة والقراءة المنشودة والمدعو إليها على وِزان آي القرآن لا يعقل أن تكون مرسلة من غير حضور قلب ويقظة ذهن، تلاوةً للقرآن على أنه ذكر لله -تعالى- متلقى من لدن حكيم عليم، فالتلقي -بحسبه- استقبال القلب للوحي(٢)، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

---

(١) رواه الإمام مسلم، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه)، (رقم/ ٢٤٤ - ٧٩٨).

(٢) مجالس القرآن، ص: ٦٦.

فالتلقي من الحكيم العليم، معناه -أيضًا- أن تُصغي إلى الله يخاطبك، كأن آياته تتنزل على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك، لتنتقل هذه التلاوة من اللفظ والصوت إلى حضور القلب؛ ولتكون حينها بركة وزكاة في نفسها، ويعيش التالي للآيات على ذلكم الوِزان شُهُوديَةَ التَّنَزُّل؛ «أَيْ: كأنما هو يشهد تَنَزُّله الآن غضًّا طريًّا، فيتدبر القرآن آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيًا في عصره وزمانه... أن تتلقى القرآن: معناه إذن أن تصغي إلى الله يخاطبك! فتبصر حقائق الآيات وهي تتنزل على قلبك روحًا. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التَّخَلُّقُ بالقرآن»[1].

فإذا تحققت التلاوة بمنهج التلقي والشهود حصل للقلب التلذذ بكلام الله -تعالى- وانتقل الكلام إلى كونه ذكرًا يمهد القلب والفهم للخطوة التربوية الآتية.

٢- التَّعَلُّمُ والتَّعْلِيم بمنهج التَّدَارُس[2]:

إن عملية التلاوة التي بُينت سلفًا لا تكون ذات غاية مستعرضة ممتدة في البركة والفضل إلا إذا تساوقت معها عمليات أُخر مرتبة في العملية التدبرية زمنًا وكيفًا، فبعد التلاوة بمنهج التلقي تأتي مرحلة تَعلم الآي وتعليمها على وزان التدارس بالمفهوم القرآني.

ولا غرو أن أجمل وأسمى وأسنى ما يتعلمه المرء ويعلمه: آي الكتاب الحكيم مبنى ومعنى، ومقصدًا ومسلكًا للتخلق.

فعن عقبة بن عامر الجهني، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في

(١) نفسه، ص: ٦٦.

(٢) ينظر المرجع السابق، ص: ٦٨ و ٦٩، [بتصرف]، ومن كتاب بلاغ الرسالة القرآنية، ص: ١٥٩، [بتصرف].

الصُّفَّـةِ فقال: «أيكم يحب أن يَغْدُوَ كلَّ يوم إلى بُطحـانَ[1] أو العَقِيقِ[2]؛ فيأتيَ منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ[3] زَهْرَاوَين[4]، يأخذهما بغير إثم بالله ﷻ ولا قطع رحِم؟» قالوا: كلنا يا رسول الله! قال: «فَلأَن يَغْدُوَ أحدكم كل يوم إلى المسجد؛ فَيَتَعَلَّم آيتين من كتاب الله ﷻ؛ خير له من ناقتين، وثلاثٌ خير له من ثلاثٍ، وأربعٌ خير له من أربعٍ ومن أعدادهِنَّ من الإبل»[5].

هذا التعلم يكون لأحكام القرآن وحكمه بمنهج التدارس والدراسة لآيات الوحـي وسـوره، مبنى ومعنـى، ويكون ذلك بتتبـع وجوه المعـاني والدلالات والمقاصـد والغايات من كل آية وسـورة، وتعلم ذلك كله ترتيلًا وتفسـيرًا، بما فيه ضبط ألفاظه وآياته ورسمه؛ للتعرف على أسراره وحكمه؛ فإذا تحققت هذه الخطوات على المنحى المبين تحققت الربانية والتي تُمْتَح من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(١) بُطْحَان: بالضم ثم السـكون، كذا يقوله المحدثون أجمعون، وحكى أهل اللغة: بَطِحان، بفتح أوله وكسر ثانيه، وكذلك قَيده أبو عليّ القالي في كتاب البارع وأبو حاتم والبكري وقال: لا يجوز غيره، وهـو واد بالمدينـة، وهـو أحد أوديتها الثلاثـة، وهي العقيق وبطحـان وقناة، ينظر معجـم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، ١/ ٤٤٦.

(٢) العَقِيـق: بفتح أوله، وكسـر ثانيه، وقافين بينهما ياء مثناة من تحت، قـال أبو منصور: والعرب تقول لكل مسـيل ماء شـقه السيل في الأرض فأنهره ووسـعه عقيق، قال: وفي بلاد العرب أربعة أعقّة وهي أودية عاديّة شقّتها السيول، وقال الأصمعي: الأعقّة الأودية ومنها: عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل، ينظر معجم البلدان، ٤/ ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) ناقة كَوماء: قُلِبَتْ الهمزَةُ فِي التَّثْنية وَاوًا، أَيْ مُشْـرفةَ السَّـنام عاليَتَه، تُنظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السـعادات المبارك ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ٤/ ٢١١.

(٤) زَهْرَاوَيْـن أي: سـمينتين مائلتين إلى البياض من كثرة السـمن، يُنظر مرعاة المفاتيح شـرح مشـكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري، ٧/ ١٧٣.

(٥) رواه الإمـام مسـلم، باب: (كتاب صلاة المسـافرين وقصرهـا، باب فضل قراءة القـرآن في الصلاة وتعلمه)، (رقم/ ٢٥١ - ٨٠٣).

«فالتدارس[1] للقرآن الكريم (أو المُدارسة) هو المنهج التعليمي الكفيل بالوصول بالدارس إلى الحكمة، التي بمقتضاها يصير ربانيًا»[2]. والرباني هو: «عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، وهو الجامعُ إلى العلم والفقه، البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم، الذي يُبَصِّره علمه بضرورة العمل فلا ينفك أحدهما عن الآخر»[3].

٣- التَّدَبُّر بمنهج الاِستبصار[4]:

إن تحقق التزكية التي أشارت إليها الآيات المذكورة آنفًا، تستلزم استدعاء عملية التَّدَبُّر؛ فإذا قرأ الدارس للقرآن الكريم بمنهج التلقي، ثم تعلَّمه وعلَّمه على وِزان المدارسة والتدارس، آن له أن ينظر في مآلات الآيات وعواقبها في النفس والمجتمع بمنهج التدبر، وهو الذي يورث القلبَ الاِعتبارَ، ويمنح النفسَ العزيمةَ على الدخول في الأعمال؛ فهو إذن عملية قلبية ذوقية محضة[5]، وهو غاية إنزال القرآن لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) مصطلح التدارس مصطلح نبوي، ومنهج جبريل في تعليم النبي ﷺ آيات الوحي، ويشهد على ذلك ما رواه الإمام البخاري من حديث الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيُدَارِسُهُ القرآن، فَلَرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة»، صحيح البخاري، (كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ)، (رقم / ٦)، ويا عجبا كيف جُمِع بين التَّدارُس وهو منهج تعليمي وبين الجود وهو ثمرة عملية؛ إنه إذن ربط العلم بالعمل، فكل علم ليس تحته عمل فهو باطل على شرط المقاصديين.

(٢) مجالس القرآن، ص: ٦٨.

(٣) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ٦/ ٥٤٤.

(٤) ينظر المجالس، ص: ٧٢ و ٧٣ و ٧٤، وينظر كتاب بلاغ الرسالة القرآنية، ص: ٤٤ و ٤٥ و ١٥٧ و ١٦٨.

(٥) لا يفهم من ذلك أن الدكتور فريد يدعو إلى منهج إشاري أو باطني في فهم الوحي، فلا يُدلف إلى الذوق إلا بعد التلاوة المنهجية والمدارسة الرصينة.

إنَّ حصول التذكر مرتبط بالتدبر، وهما مقصدا الإنزال، وبهما تسري بركات الآي على المتلقين والمستقبلين من أهل الإيمان، «ولولا التدبر لما حصل التذكر الـذي هو يقظة القلب، وعمـران الوجدان بالإيمان. فالتدبر هـو المنهج القرآني المأمور به لقراءة القرآن العظيم؛ ومن هنا زَجْرُهُ تعالى للناس الذين لا يتدبرونه، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]»[1].

هـذه العملية واقعة في النفس لا في النص، عملية تَمْتَحُ المعاني والحكم من التدارس، ثم تدخل بها إلى أعماق النفس، ثم تخرج بها إلى مطالعة أحوال المجتمـع، بخلاف التدارس الذي هو عملية تعليمية ذهنية، تشـتغل من داخل النـص القرآني لا من خارجه، وينتجهـا العقل في علاقته بنص الخطاب القرآني مباشرة وفي ارتباطه بلغته وأساليبه.

وبعـد التدبـر تلج إلى باب آخر صِنـوٍ له وهو التَّفَكُّر، الـذي غالبًا ما يرد مذكـورًا في القـرآن في سـياق النظـر في خلـق الله والتأمل في بديـع صنعه، فإذا كان التدبـر هـو المنهاج الرباني لقـراءة القرآن، فإن التفكر هـو المنهج القرآني لقـراءة الكون، فيكون كل متدبر للقرآن متفكـرًا في الكون، فتقرأ بقراءة القرآن كل آيات الله المنظورة والمقروءة سـواء، فإذا استنارت حقائق الآيات القرآنية بالتدبر واسـتنارت حقائـق الآيات الكونية بالتفكر، حصـل الإبصار للمتدبرين والمتفكرين وكانت لهم فيها مشاهدات، لاتكون لغيرهم، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

«هكـذا وجب أن تقرأ القرآن آيـة، آية؛ اِقرأ وتدبر ثم أبصر!.. عسـى أن تـرى مالم تَرَ، وتـدرك من حقائقه ما لم تُدرك من قبل؛ فتكـون له متدبرًا حقًّا.

(١) مجالس القرآن، ص: ٧٣.

ذلك كله هو أساس التزكية، ومقياس التصفية، ومنهاج التربية، وسُلَّم العروج إلى رضا الرحمن»[1].

وجماع هذه الخطوات الثلاث أو الأربع -إذا اعتبرنا الإبصار عملية مستقلة عن التدبر- يلخصه قول الدكتور فريد الأنصاري: «تتبع منهج القرآن كما عرضه القرآن: التلاوة والتعلم والتعليم والدراسة والتدارس، ثم التدبر بمعنى أن تكون من المبصرين، فاجعل مجلسك القرآني على هذه الفقرات الأربع الموصلة إلى كتاب الله وسنة رسول ﷺ»[2].

❁ المطلب الرابع: السور المنتقاة للتدارس والاِستبصار واستمداداته المعرفية والمنهجية:

بعد التأسيس لمنهجه الموصل إلى استبصار الرسائل القرآنية، عمد الدكتور فريد إلى الشق العملي الهادف إلى إخراج مشروعه الدعوي لمجالس القرآن، من القوة إلى الفعل، وقد اختار لذلك انتقاء بعض سور القرآن الكريم، انتقاءًا بَيَّنَ علَّته ومقصده، اِستهله بفاتحة الكتاب ثم بسورة الفرقان ثم بسورة يس، واختتم بسورة الحجرات، وأما عن مسوِّغات اختياراته تلك فأوردها كما ساقها الدكتور، على النحو الآتي[3]:

◈ **فأما الفاتحة** فهي الباب الأول لكتاب الله، موقعًا وتدبرًا، وهي سورة الصلاة التي تصحب المؤمن ليله ونهاره، ثم هي صخرة المعراج الأولى

(١) مجالس القرآن، ص: ٧٥.
(٢) بلاغ الرسالة القرآنية، ص: ١٧٥.
(٣) مجالس القرآن، ص: ٩٧.

الضرورية لكل من أراد التحليق في فضاء القرآن، ومن خلال مدارستها سيتبين لـك أنها فعلًا مما ينبغي للمؤمن الإبتـداء به تخلُّقًا وتحقُّقًا، عند إرادة الدخول إلى عالم القرآن.

◈ **وأما سـورة الفرقـان** -وهي تقع بأواسـط القرآن- فقد تَبيَّـن لنا أنها السـورة المُعرِّفة بالقرآن الكريم وبدعوته بامتيـاز! كأن الداخل إليها ينظر إلى قصـر القرآن من وسـطه، ويتجول في عمارتـه البديعة يمينًا وشـمالًا، كما بيَّنَّاه مفصـلًا بمقدمتهـا، كمـا أن التخرج بمدرسـتها الرفيعة كفيـل بتأهيل المؤمن لِتَلَقي رسالات القرآن، والسلوك بمنازل «عباد الرحمن».

◈ **وأما سـورة يس،** -وهي بوابة الربع الأخير من القرآن- فهي مدرسة الدعـوة والداعيـة؛ إذ تضمنت مـن فقه الدعوة إلى الله وبيان منهاج السـير إليه تعالى قواعدَ رحمانية، ومعالم ربانية لا حق لداعية إلى الله أن يكون جاهلًا بها؛ ولذلك فهي جدير بأن تكون سورة مركزية في التداول التربوي العام والخاص، ومقررًا دراسيًا.

◈ **وأما سورة الحجرات** -وهي تقف على باب المفصّل- فهي دستور شامل لنظام الأخلاق الإجتماعية في الإسلام بما هي خادمة للأصل الأول من توحيـد الله وتفريـده. إنها تنفذ إلى أعماق النفس الإنسـانية بمقارض التهذيب والتشـذيب لتسـتأصل الأنانيات البغيضـة، وأمراض الفظاظـة والكبرياء، إنها مدرسـة ربانية، لا بد للمسـلم -أنَّى كان- أن يتلقى رسـالاتها واحدة واحدة، وإلا فشل في الإندماج بمحيطه الإجتماعي.

والمتملـي والمتأمـل في اختيارات الدكتور السـالفة، قـد يخرج بحقيقة مقصده من المدارسـة والتفسير، مدارسة تهيمن عليها مقصدية التزكية التربوية

الداخلية للنفس بتصفية عقيدة المسلم، ووضعه على الصراط المستقيم والمنهاج الرباني الذي قوامه العيش بالقرآن ومعه، ثم حمله لمشروع الدعوة من حيث هو مسئول عن ذلك، ثم فعله الإصلاحي في المجتمع الذي يعيش فيه. هذه الإشارات تجعل من محاولات الدكتور في المدارسة أميل لأن توسم بالتربوية والدعوية والإصلاحية.

ولخدمة منهجه في تدارس السور المنتقاة مَتَحَ الدكتور رَحِمَهُ اللَّهُ مادته المعرفية والمنهجية من مصادر ومراجع ودراسات جعلها مُنطلقه المساعد والمفيد في بناء مدارساته للقرآن، وقد صرح عنها في مقدمته لكتاب مجالس القرآن، مرتبًا لها بحسب درجة الإفادة والتأثر، وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

❖ من حيث منهج التعامل مع القرآن الكريم، فقد استفاد فريد الأنصاري من الدكتور الشاهد البوشيخي، وعبَّر عن ذلكم بقوله: «حيث تلقينا عنه أصول المنهج وقواعده، نظرية وتطبيقًا»[1]، كما استفاد من كتب رسائل النور، لبديع الزمان النورسي.

❖ أما من حيث المادة التفسيرية -أو ما عبر عنه بالبيان العام-، فيقول مفصحًا عن استمداداتها وطريقة التعامل معها بقوله: «فقد انتقيتها مما ترجح لدي من كلام المفسرين ورواياتهم، وعلى رأسهم الإمام أبو جعفر الطبري، والإمام ابن كثير -رحمة الله عليهما-. كما أنني كنت أرجع في تحقيق كثير من القضايا إلى كتاب «الكشاف» لجار الله الزمخشري، و«معالم التنزيل» للإمام البغوي، و«المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي، و«الجامع لأحكام القرآن»

(١) مجالس القرآن، ص: ١٤.

للإمام أبي عبد الله القرطبي، و«مفاتيح الغيب» للإمام فخر الدين الرازي، و«نظم الدرر» للإمام نجم الدين البقاعي، و«الدر المنثور» للإمام السيوطي، و«التحرير والتنوير» للإمام الطاهر ابن عاشور، ثم إلى كتاب «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب -رحمة الله عليهم جميعًا-. وقد كنت خلال ذلك كله أصوغ ما استفدته من كتب التفسير منزلًا على مقتضى العصر»[1].

(١) المرجع السابق، ص: ١٤ - ١٥.

المبحث الثاني

منهجية الدكتور فريد الأنصاري في عرضه للسورة القرآنية

۞ المطلب الأولى: منهجية عرض السورة، وخطواتها:

سار الدكتور فريد في عرضه للسور المنتقاة، وفق منهجية ظل وفيًا لها مع كل سورة، جمع فيها ما هو متداول ومبسوط في كتب التفسير، من حيث الطريقة المتبعة، وجاء بمفاهيم موسومة بالجدة طرحًا ومضمونًا، ولعل التقسيم الذي سنكشف عنه فيما يلي، كان استجابة لظروف مجالس القرآن التي قد تحتم على حاضريها والفاعلين فيها مواءمة الحيز الزمني، والرسائل القرآنية التي راموا الوصول إليها من خلال الآيات المتدارسة بالخطوات الثلاث التي أشرت إليها في المطالب الآنفة، أما عن تفصيل منهجيته فبيانها كما يلي[1]:

- **تحديده نوع السورة وعدد آياتها**، وفي كم من المجالس ستدرس؟.
- **تقديم بين يدي السورة المقصودة بالمدارسة**، تقديما كليًا يلخص فيه قضيتها ويعرف بشخصيتها[2].
- **تقسيم السورة إلى مجموعة آيات** تشكل وحدة متكاملة في ذاتها.
- **عرض الآيات المراد مدارستها**، وقد وسم هذه المرحلة **بآيات الإبتلاء**، أي باعتبارها آيات للعمل والتطبيق وحقائق للابتلاء والتكليف، لا مجرد كلام للقص والتأريخ.

---

(١) ينظر مجالس القرآن، ص: ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤.

(٢) يفهم من هذا الأمر تأثر الدكتور بمنهج التفسير الموضوعي، وسيظهر ذلك أيضًا من خلال تقسيمه للآيات بحسب وحدة الموضوع، وأيضًا من خلال العناية بذكر المناسبات بين الآي، أو من خلال الكشف عن عِلاقة اسم السورة ببعض موضوعاتها أو بقضيتها الأساس.

❖ **البيان العام:** ويعمد من خلاله إيراد خلاصات تفسيرية لما قاله المفسرون، وما مَنَّ الله به عليه من معانٍ -كما عبر عن ذلك-، دون الإغراق في الجدل الكلامي، أو الإستطراد اللغوي، أو التفريع الفقهي، إلا ما دعت إليه ضرورة البيان.

❖ **الهدى المنهاجي:** ويقصد به ما يتحصل للمتدبر والدارس لآي القرآن الكريم من رسالات منهجية، مع تقسيم حقائق الهدى المنهاجي إلى رسالات ذات عناوين مستقلة، تشكل كل واحدة منها خطوة إيمانية من خطوات إصلاح النفس.

❖ **مسلك التخلق:** ويكشف فيه عن المسلك العملي والتطبيقي للرسالات المتدبرة والمستخلصة.

❖ **الخاتمة:** يذكر من خلالها أهم حقائق السورة، مع بيان علاقتها بالنفس تحقيقًا وتقويمًا.

وهو في ذلك كله لا يغفل الإستدلال ببعض الآيات التي تشترك مع الآيات المتدارسة في الموضوع، من باب تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك الإستدلال بالحديث النبوي، وذكر بعض أسباب النزول، وذلكم ما سأبين عنه من خلال المطلب الموالي.

۞ المطلب الثاني: التطبيق والتمثيل لمنهجية الدكتور في مدارسة السورة[1]:

سأحاول من خلال هذا المطلب -بإذن الله- التمثيل لمنهجية الدكتور فريد في عرضه للسورة القرآنية، مقتصرًا في ذلك على سورة الحجرات ممثلًا.

(١) ينظر مجالس القرآن، من ص: ٣٦١ إلى ٤٠٢.

فقد استهل الدكتور الأنصاري مدارستها ببيان نوعها وعدد آياتها، ومقسمًا لها إلى خمسة مجالس وهي:

- مجلس في مقام التلقي لأدب الطاعة لله ورسوله والتوقير لمقام النبوة. (١)
- مجلس في مقام التلقي لموازين الأنباء. (٢)
- مجلس في مقام التلقي لموازين العدل والإصلاح، وحقيقة الأخوة في الله. (٣)
- مجلس في مقام التلقي لحقوق الأخوة في الله ولجمال التعارف الروحي في ذاته سبحانه. (٤)
- مجلس في مقام التلقي لمفهوم الإيمان الحق، وفرق ما بينه وبين الإسلام العام. (٥)

وقبل تفصيله في كل مجلس على حدة، اِستهل حديثه عن السورة بمقدمة بيَّن فيها موضوعاتها ومقاصدها وما يميزها عن غيرها من سور القرآن الكريم، مُركِّزًا على مقام الأدب في السورة، أدب العبد مع ربه، وأدبه مع الرسول ﷺ، وأدبه مع إخوانه.

وفي ذلك يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنها سورة جامعة لكل أدب السير إلى الله، سواء على المستوى التعبدي المحض، أو على المستوى الاجتماعي العام، وهذا

(١) ينظر المرجع نفسه، ص: ٣٦٤.
(٢) نفسه، ص: ٣٧١.
(٣) نفسه، ص: ٣٧٧.
(٤) نفسه، ص: ٣٨٤.
(٥) نفسه، ص: ٣٩٤.

إنما هو فرع عن ذلك. ولم تزل آياتها العظيمة -من أول السورة إلى آخرها- تؤثث عمران الروح وتحليه بالحكم الربانية الرفيعة، وتتناول النفس الإنسانية بالتأديب والتخلية من خبائثها الظاهرة والباطنة، وتصفي الحقائق الإيمانية مما علِق بها من أدران النفس وأوساخ الجاهلية؛ حتى تنجلي مرآتها وتصفو على مقام الإيمان الخالص لله، ذلكم هو الموضوع الرئيس للسورة»[1].

ولا يخلو كلامه -وهو يقدم للسورة- من بدائع الإشارات ولطائف المعاني، ومن ذلك أنه يربط بين اسم السورة ومقصدها العام يقول رحمه الله: «إنها إذن سورة الموانع والكوابح، صحيح إنها سميت بالحجرات؛ لما ذكر فيها من توجيه رباني للأعراب الذين كانوا ينادون الرسول ﷺ من وراء بيوتاته بفظاظة وغلظة، ولا يراعون أدب الاستئذان، ولا مقام سيد الخلق -عليه الصلاة والسلام-.

ولكن في تسميتها بذلك أيضًا دلالة على أنها سورة الموانع والكوابح كما ذكرنا؛ لما في معنى الحجرة من معاني الحجر والمنع، الذي هو أصل استعمال هذه المادة في اللغة. فكأن كل آية من آياتها حجرة تحفظ دين المؤمن وتستر عرضه وتمنع غيره من التعدي عليه أو إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى؛ ومن هنا جاءت آياتها نسيجًا مشدودًا إلى تعابير النهي القوية الشديدة، القاضية بالانقطاع الفوري والترك الكلي للمنهيات المذكورة، مع بيان مفاسدها الاجتماعية وأسبابها الشيطانية. إنها سورة لكبح جماح شهوات اللسان، وسائر نوازغ الشيطان، ومن هنا كانت «الحجرات»، سورة اجتماعية من الطراز الأول»[2].

(١) مجالس القرآن، ص: ٣٦١.

(٢) مجالس القرآن، ص: ٣٦٣.

وبعد تقديمه لسورة الحجرات ذاكرًا ابتداء عدها في (١٨) آية، وأنها مدنية النزول[١]، أدلَف إلى عرض آيات الِابتلاء الخاصة بكل مجلس قرآني من مجالس السورة الخمسة، جامعًا فيها ما يلائم موضوعه، فإذا انتهى من تقسيمه لآيات الِابتلاء، أفرد كل مجلس ببيانه العام، والهدى المنهاجي المستفاد منه، ثم مسلك التخلق منه، ثم خاتمة خاصة به.

ففي البيان العام مثلًا يحاول الكشف عن بعض الإشارات اللغوية، من قبيل قوله: «فالغض هو الحفظ برفق والعطف بلين، وهو عادة ما يستعمل في ثني الأمور الرطبة المطاوعة، كالأغصان الغضة»[٢]، ويورد بعض أقوال المفسرين، من ذلك: «وقال ابن كثير: قال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ، كما كان يكره في حياته -عليه الصلاة والسلام-»[٣].

وكان -رحمه الله تعالى- يذكر المناسبات بين الآيات بعبارات رابطة، ففي معرض حديثه عن عدم التقدم بين يدي الله ورسوله بحسب الآية الأولى، جعل عدم رفع الصوت على النبي ﷺ امتدادًا لعدم التقدم على الله، ورسوله.

وفي ذلك يقول الدكتور: «ثم إن العبد الحق إنما هو من داخله الخوف من سيده، لما علم عنه من عظمة سلطانه، وسعة ملكه وملكوته ولما تجلى على قلبه من نور أسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ فَلَان لربه وخضع وخشع، حتى إذا كان بين يدي رسوله ﷺ شاهد فيه من مقام النبوة العظيم رسولًا كريمًا من رب كريم؛ فتجلَّت عليه أحوال الرهبة والرغبة، وأشواق المحبة والسلام؛ توقيرًا وتعظيمًا لمن جاءه بالسلام فلا يملك قلبه آنئذ بين يديه ﷺ

(١) ينظر المرجع نفسه، ص: ٣٥٩.
(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٦٧.
(٣) نفسه، ص: ٣٦٧.

إلا أن يذعن ويخضع، ثم لا يجد من صوته ولسانه -بعد ذلك- إلا قنوتًا عميقًا وخشوعًا. ومن هنا ساق الحق تعالى هذا التأديب الثاني للمؤمنين، فقال جل ثناؤه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]»[1].

ولا يفوته وهو في معرض البيان ذكر بعض أسباب النزول مما يستقيه من مظان التفسير من ذلك قوله: «وقد روي أن هذه الآيات -ابتداء من مطلع السورة- نزلت في الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير قال: (أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات: ٤- ٥]، حتى انقضت)»[2][3].

وقد يستحضر الدكتور رحمه الله في معرض بيانه العام لآيات الإبتلاء بعض العلوم المساعدة على فهم المراد من قوله تعالى، من ذلك ذكر الناسخ والمنسوخ من الآيات وتجلية حكمة النسخ، يقول: «بل قد لزم الصحابة -في المنسوخ من القرآن- تقديم بين يدي نجواه ﷺ صدقة؛ لإشعارهم بنعمة تفردهم بلُقياه ومناجاته ﷺ، وهو رسول الأمة جمعاء، أولها وآخرها فكان حقًّا على من تفرد بوقت يسير من محادثته أن يتصدق لله بصدقة ثم نُسِخ

(١) نفسه، ص: ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (باب وفد بني تميم)، (رقم/ ٤١٠٩).

(٣) مجالس القرآن، ص: ٣٦٧.

حُكمها ولم تُنسخ حِكمتها، بل بقيت قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة؛ لأن الأمة كلها -أولها وآخرها- في حاجة إلى هذا المعنى العظيم»[1].

ولا يخلو بيان الدكتور من الاستدلال ببعض الآيات المتساوقة من حيث المعنى والموضوع مع آيات الابتلاء، وهو في ذلك ينحو منحى التفسير بالقرآن، أو لنقل تجميع آيات ذات الموضوع الواحد، وقد برز ذلك في غير ما موضع من كلام الدكتور، وذلك من قبيل قوله: «كل ذلك كان في سياق تربية الصحابة - وأجيال الأمة من بعده - على الطاعة التامة لرسول الله، وهو قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٢، ١٣]»[2].

فإذا فرغ من البيان العام انتقل إلى استخلاص الرسائل التي تشكل في مجموعها الهدى المنهاجي لآيات الابتلاء، وتلمس من كلامه حينها تنقلًا بين العبارات والإشارات والموعظة والتنبيه وشحذ الهمم.

وأمثل لذلك ببعض ما قاله عن الرسالة الأولى من المجلس الأول: «في أن كمال الإيمان والإخلاص هو في كمال الطاعة، وإنما العبد الصادق يكفيه أن يعلم أن ذلك الأمر قد جاء عن الله، أو صح عن رسول الله ﷺ ليقول: سمعنا وأطعنا، وليبادر على الفور إلى الدخول في العمل، مجيبًا ربه بنداء الطاعة: لبيك اللهم لبيك[3]».

(١) المرجع السابق، ص: ٣٦٦.
(٢) نفسه، ص: ٣٦٦.
(٣) المرجع السابق، ص: ٣٦٨.

غير أني -وأنا معجب بكلام الدكتور فريد ونوادر استنتاجاته وتأملاته الفذة- أرى يقينًا أنه من الصعب أن يوفق غيره إلى مثل ما يصل إليه، لا من باب العجز؛ ولكن من باب أن الجانب الخاص بالهدى المنهاجي لا ينضبط وفق قواعد ومقدمات تؤدي إلى النتائج عينها، وبالتالي فإن تعميم تجربة مجالس القرآن على المنوال الذي سلكه الدكتور، قد يقف عند البيان العام للآيات، ثم لأن التأملات تخضع إلى المستوى المعرفي للمتدبر وما يفتح الله به عليه، وهذا غير منضبط.

أما مسلك التخلق، فيجعله لبيان ما تُترجم به الرسائل إلى أعمال في حياة الفرد والمجتمع، من ذلك قوله مثلًا: «التعرف إلى الله وعلى مقامه العظيم بمداومة النظر في كتابه تلاوة وتدبرًا، وخصوصًا ما تعلق منه بآيات الخلق والتقدير، والرعاية والتدبير، والإحياء والإماتة، وسائر شؤون ربوبيته ومقتضيات إلاهيته، وما تعلق بذلك كله من أسمائه الحسنى خاصة؛ فإنها مفتاح عظيم للتعرف إلى الله ومحبته، كما يكون ذلك بمداومة النظر في كتاب الكون ومشاهدة آيات الله فيه، والتفكر في جمال خلقه ودقة صنعه، وسعة مُلكة وعظمة سلطانه، ومشاهدة تجليات أسمائه الحسنى في مسيرة الكون كله أرضه وسمائه، وفي معارض تحولات الملكوت ما بين أزمنته وفصوله، ومنازل أفلاكه وكواكبه، فإن في ذلك ما يملأ القلب رَغَبًا ورَهَبًا، ويزيده تقربًا إلى الله تعالى ومعرفة به»[1].

ثم يختم السورة بخاتمة يجلي فيها شعوره بعد ما وصل إليه من البصائر المتدبرة، ويخاطب فيها نفسه بلغة منبهة واعظة، لتتحرك صوب نداءات

(١) مجالس القرآن، ص: ٣٧٠.

الرحمـان ملبية وخاشـعة ونادمة، ولكم أن تتأملـوا في جميل ما قاله من خلال خاتمة حسـنة لسـورة الحجـرات، أورد أغلبهـا من غير تصـرف: «وبعد، ماذا أنـت فاعل يا قلبي الكليل بين يدي هذه المعـارج العالية الرفيعة؟ وكيف أنت متصرف إزاء هذه الرسـالات القوية البليغـة؟ كيف؟ وقد قامت عليك الحجة وبلغ البيان؟! قد سـبق المُفَرّدون وبلغ الصديقُون وأنت يا قلبي -واحسـرتاه! - مـا تزال تلهـث متعثرًا، لا تنهـض لك عزيمة ولا يسـتقيم لك سـير! تَصرِفُكَ الشهوات والأهواء عن مواصلة الطريق وفرصة الإستئناف على وشك الإنتهاء والملائكة تستعد لطي الصحف. أزَفَت الآزفةُ يا صاح وتقارب الزمان، فالبدار البدار قبل فوات الأوان.

فأما هذه السـورة، فـإذا خرجت مـن امتحاناتها فائـزًا بعهدين اثنين، فقد فزت بأهم مقاصدها، وتخلقت بغاية رسالاتها، وذلك أعلى مقاماتها:

فأما العهد الأول: فهـو عهد الأدب ذلـة لله وافتقارًا. **وأما العهد الثاني:** فهو عهد الصمت ومراقبة اللسـان، فذانك موثقـان عظيمان بينك وبين ربك، يُصَدَقهُمَا العمل أو يكذبهما.

وتلـك هي الخاتمة الكلية التي ختم الله بها السـورة؛ إذ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]..»[1].

(١) ينظر المرجع نفسه، ص: ٤٠٢.

الخاتمة

وحُمادى القول وجماعه، لا مندوحة من أن أشير إلى أمور أحسبها آكد بشد الانتباه إليها، أجملها مرتبة بحسْبِ الذي يلي:

◈ إن المغرب كان وسيظل أمة ولاَّدة للعلماء في كل زمان وفي كل مكان، هؤلاء العلماء لم يكونوا كتبة مقمشين، بل كانوا أهل دراية وذكاء مفتشين، ومن هؤلاء الدكتور فريد الأنصاري -رحمة الله عليه-، الأمر الذي يلزم الغيورين على هذا البلد وسياجه العلمي، أن يعملوا جهودهم في إحياء تراث هذه الأمة، ونخلها ونشرها نقية إلى الجيل الذي لم يتسن له ملامسة أولئك الأفذاذ الأعلام.

◈ إن مشروع الدكتور في التأسيس لمجالس القرآن لهو المهيع البين، للوصول إلى ربط الأمة بالقرآن الكريم خاصتهم وعامتهم.

◈ إن الاِتجاه الذي يغلب على محاولة الدكتور في تدبر القرآن، هو الاِتجاه التربوي والدعوي والإصلاحي.

◈ إن محاولاته التفسيرية لا تقف عند هذا المقصد، بل تتعداه إلى التدبر والتفكر والاِستبصار.

◈ إن ما يؤاخذ على هذه المحاولة، هي صعوبة السير على منوال الدكتور خصوصًا فيما يتعلق بالهدى المنهاجي، كون هذا الأمر لا ينضبط وفق أصول وقواعد موحدة.

◈ إننا بحاجة ماسة إلى الحسم في أصول التفسير وقواعده ومناهجه، ثم التفكير بجد في التأسيس لمشروع أصول التدبر والتفكر.

تم بحمد الله..

ملحق

ترجمة الدكتور فريد الأنصاري

- هو فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السِّجلماسي، ولد بإقليم الرشيدية جنوب شرق المغرب، عام: (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، وتوفي بتركيا سنة: (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ثم نقل جثمانه إلى المغرب ليدفن بمقبرة الزيتون بمكناس.
- حاصل على دكتوراة الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب، المحمدية، المغرب.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا، دكتوراة السلك الثالث في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.
- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين)، الماجستير في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.
- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب، فاس، المغرب.
- عضو المجلس العلمي الأعلى للمغرب.
- رئيس المجلس العلمي المحلي بمكناس سابقًا.
- عضو اللجنة العلمية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولاي إسماعيل، مكناس.

- عضو مؤسس لمعهد الدراسات المصطلحية، التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد بن عبد الله، بفاس.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- رئيس سابق لشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، المغرب، لسنوات: ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ م إلى ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م.
- أستاذ زائر بدار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط لسنتي: ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م و ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ م.
- أستاذ بمركز تكوين الأئمة والمرشدات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.
- رئيس وحدة الدراسات العليا: الاجتهاد المقاصدي: التاريخ والمنهج، بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.
- أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس.
- أستاذ كرسي التفسير بالجامع العتيق لمدينة مكناس.
- خطيب جمعة وواعظ بعدد جوامع مكناس.
- **له إنتاجات علمية ومنهجية ودعوية عديدة ومتنوعة منها:**
  - التوحيد والوساطة في التربية الدعوية (في جزئين).
  - أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي.
  - قناديل الصلاة: مشاهدات في منازل الجمال (كتاب في المقاصد الجمالية للصلاة).

- الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب: دراسة في التدافع الاجتماعي.
- المصطلح الأصولي عند الشاطبي (أطروحة الدكتوراة).
- ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله.
- جمالية الدين: كتاب في المقاصد الجمالية للدين.
- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق.
- سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة (تُرجم للفرنسية).
- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي: نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية.
- مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية (تُرجم للفرنسية).
- مفهوم العالِمية من الكتاب إلى الربانية.
- مفاتح النور: نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لسعيد النورسي.
- الأخطاء السِّتة للحركة الإسلامية بالمغرب.
- الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام.
- الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج.
- مجالس القرآن من التلقي إلى البلاغ مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ.
- كاشف الأحزان ومسالح الأمان.

- مصطلحات أصولية في كتاب الموافقات للشاطبي (رسالة شهادة الدراسات العليا، نوقشت سنة: ١٩٨٩م بكلية الآداب بالرباط).

○ ولكون فريد الأنصاري عضوا في رابطة الأدب الإسلامي العالمية. كانت له أعمال أدبية منها:

- ديوان القصائد (الدار البيضاء ١٩٩٢).
- الوعد (فاس ١٩٩٧).
- جداول الروح (بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح) مكناس ١٩٩٧.
- ديوان الإشارات (الدار البيضاء ١٩٩٩).
- كشف المحجوب (رواية) فاس ١٩٩٩.
- مشاهدات بديع الزمان النورسي (ديوان شعر) فاس ٢٠٠٤.
- آخر الفرسان (رواية).
- ديوان المقامات.
- ديوان المواجيد.
- من يحب فرنسا؟ (شعر مشترك مع الشاعر عبد الناصر لقاح).
- عودة الفرسان (رواية)، ألفها سيرة لمحمد فتح الله كولن.
- كيف تلهو وتلعب! (قصيدة).

وفي الخميس ٥ نوفمبر ٢٠٠٩، بمستشفى سماء بإسطنبول بتركيا، توفي العلامة الأنصاري، ونُقِل جثمانه إلى المغرب، ليدفن بمدينة مكناس، يوم الأحد ٨ نوفمبر ٢٠٠٩، في مقبرة الزيتون، بعد أداء صلاة الجنازة عليه عقيب صلاة الظهر، بمسجد الأزهر، بحي السلطان محمد بن عبد الله، فرحم الله الفقيد رحمة واسعة.

المصادر والمراجع

١. «مصحف المدينة النبوية»، المطبوع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام: (١٤٢٢هـ).

٢. «أبجديات البحث في العلوم الشرعية»، للدكتور فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الطبعة الأولى، سنة: (١٩٩٧م).

٣. «بلاغ الرسالة القرآنية»، من أجل إبصار لآيات الطريق، للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، سنة: (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٤. «جامع البيان في تأويل القرآن»، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: (١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م).

٥. «الجامع الصحيح المختصر المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة -بيروت- الطبعة الثالثة، سنة: (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٦. «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - طبعة سنة: (١٣١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٧. «سنن أبي داود»، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِستاني(ت٢٧٥هـ)، تحقيق شُعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية -بيروت-، الطبعة الأولى، سنة:(١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٨. «مجالس القرآن، مدارسات في رسائل الهدى المنهاجي للقرآن الكريم، من التلقي إلى البلاغ»، للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، سنة: (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

٩. «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ)، نشر إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء -الجامعة السلفية- بنارس -الهند-، الطبعة: الثالثة: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠. «المستدرك على الصحيحين»، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد الطهماني النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت-، الطبعة الأولى، سنة:(١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

١١. «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي -بيروت- (د ت ط).

١٢. «معجم البلدان»، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر -بيروت- الطبعة الثانية، سنة: (١٩٩٥م).

١٣. «مقدمة في مناهج البحث في العلوم الإسلامية»، لمولاي مصطفى الهند، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة: (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

١٤. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى -محمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية -بيروت-، طبعة سنة: (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٥. «المعجم الكبير»، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الشامي الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم -الموصل-، الطبعة الثانية: (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م).

١٦. «تهذيب اللغة»، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي -بيروت-، الطبعة الأولى: (٢٠٠١م).

فهرس الموضوعات

مُستخلص البحث ٩١

المقدمة ٩٣

المبحث الأول: منهج الدكتور فريد الأنصاري في تدارس القرآن وتدبره ٩٩

المطلب الأول: السِّمة العامة لمنهج الدكتور فريد في تدارس القرآن الكريم وتدبره ٩٩

المطلب الثاني: ضوابط إنجاح منهج مدارسة القرآن الكريم وتدبره على وزان مجالس القرآن ١٠٢

المطلب الثالث: الخطوات المنهجية لتدارس القرآن ١٠٥

١- التلاوة بمنهج التلقي ١٠٨

٢- التَّعَلُّمُ والتَّعْلِيم بمنهج التَّدَارُس ١٠٩

٣- التَّدَبُّر بمنهج الإستبصار ١١١

المطلب الرابع: السور المنتقاة للتدارس والإستبصار واستمداداته المعرفية والمنهجية ١١٣

المبحث الثاني: منهجية الدكتور فريد الأنصاري في عرضه للسورة القرآنية .. ١١٧

المطلب الأولى: منهجية عرض السورة، وخطواتها..... ١١٧

المطلب الثاني: التطبيق والتمثيل لمنهجية الدكتور في مدارسة السورة ١١٨

الخاتمة ١٢٧

ترجمة الدكتور فريد الأنصاري ١٢٩

المصادر والمراجع ١٣٣

فهرس الموضوعات ١٣٥